تقرير من غزة

من بين جميع الاغراض التي كنا نود تحقيقها في رحلتنا ، من اجراء مقابلات وجمع وثائق وزيارة الاماكن التاريخية ، كانت زيارة غزة بالنسبة لنا هي الاهم ، ولكننا كنا نخشى ان تكون الاقل احتمالا ، اذ أن مرجل المقاومة الفلسطينية هناك كان قد تسبب في حدوث ارتباك شديد للسلطات الاسرائيلية منذ اسابيع قليلة خلت ، فقد تصدرت الصحف العالمية الكبرى صور الجنود الاسرائيليين وهم يختمون بالشمع الاحمر ابواب المحلات التجارية في مدينة غزة في محاولة لانهاء اضراب اصحاب هذه المحلات احتجاجا على قيام سلطات الاحتلال بشق طرق للقوافل العسكرية وسط مخيمات اللاجئين . وفي الوقت الذي كانت « الجروسالم بوست » تتحدث عن الكمائن التي ينصبها الفدائيون للدوريات الاسرائيلية ، وعن تصفية العملاء المتعاونين مع سلطات الاحتلال وغير ذلك من عمليات المقاومة اليومية ، كنا نتساءل ما اذا كان سيسمح لنا بزيارة هذا القطاع الثائر ؟ ولما لم يكن لدينا اي ترخيص بهذه الزيارة ، وليس لدينا سوى اوراق ثبوتية غير كافية ، عملنا بنصيحة جون ديفز ، المفوض العام السابق للانروا ، واتصلنا برئاسة الانروا حال وصولنا الى القدس . وسرعان ما لبى المدير الحالي للانروا ، ألان جراهام ، طلبنا بزيارة المخيمات ، كما انه وضع تحت تصرفنا سيارة تابعة للانروا ، وأحد موظفيها ليرافقنا في جولتنا هذه . فقد كان جراهام تواقا ليرى الاجانب يشاهدون بأم اعينهم البؤس الذي يلف مخيمات اللاجئين ، ربما على امل ان يقوم هؤلاء الزوار بعرض القضية في الخارج للمساعدة على ايجاد مخرج لهذه الحالة . وقد اعرب لنا جميع من تسنى لنا مقابلتهم من موظفي الاونروا عن مثل هذا الامل . وهكذا في الساعة التاسعة من صباح يوم سبت انطلقنا من الفندق الذي ننزل فيه في القطاع القديم من القدس واتجهنا صوب غزة عبر الشوارع المقفرة من القطاع الجديد للمدينة ، ولقد كانت الشوارع خالية من الاهالي لان ذلك اليوم كان يوم العطلة الاسبوعية .

ومن بين سكان غزة (١٤٠ ميلا مربعا) الذين يكاد عددهم يقارب نصف المليون نسمة ، هناك اكثر من ٧٠ بالمئة من اللاجئين . ولطالما حاول الجيش الاسرائيلي منذ ١٩٦٧ فرض سيطرته على هذا التجمع الهائل من البشر المضطهدين (بفتح الطاء) والثائرين ، ولكن منظمات المقاومة تجعل القوات الاسرائيلية تدفع ثمنا باهظا لاستمرارها في احتلال هذا القطاع . وفي تل ابيب اخبرنا احد جنود الاحتياط الاسرائيليين الذي أمضى فترة خدمته العسكرية منذ ١٩٦٧ في قطاع غزة ان العداء يزداد سنة عن سنة ، وقال : حتى الان « لا ازال ارى نيران الحقد تتقد في عيونهم . » ومن المناظر المألوفة في اسرائيل هذه الايام منظر الجندي الاسرائيلي الذي يسير وحيدا في الشوارع وهو يتأبط رشيشه الحربي من طراز عوزي ، ولكن الوضع ليس كذلك في غزة ، فهناك لا يسمح للجنود الا بالسير جماعات وهم يحملون رشيشات عوزي وغيرها من الاسلحة وهي في حالة جاهزة للضرب . ولقد كان رجال الحرس الذين يفتشون العربات والمارة في الفجوة الضيقة من الشريط الشائك الذي يحيط بالقطاع ، وشرائم الجنود الذين كانوا يسيرون في الشوارع عندما توقفت سيارتنا في معسكر الشاطىء ، اكثر تيقظا ، وتوترا واندفاعا من اي جندي رأيناه في اي مكان آخر .

ومن خلال رؤيتنا للارض المأى بالانقاض امام مركز توزيع خدمات الاطفال في معسكر الشاطىء ، علمنا لماذا شقّ الاسرائيليون هذه الطرق التي تبدو كالمهابط بسبب عرضها الواسع . انهم يعتقدون انهم بذلك يمكن ان يخففوا عدد المكامن والاصطدامات التي تتعرض لها دورياتهم . وبالفعل تمكنوا عبر هذه الشوارع من نقل دباباتهم الثقيلة وناقلات الجنود المدرعة الى وسط المعسكر .

وعلى اي حال ، لم تتحدث الصحف عما شاهدناه بأم اعيننا ، وهو ان الطريقين المتوازيين اللذين ينطلقان مباشرة من الشارع الرئيسي الذي يحاذي الجبهة الشرقية للمعسكر الى الشاطىء الفسيح في الغرب ، يقسمان طريق المعسكر الوسطى الى ثلاثة اقسام وبذلك تجزأن المعسكر الى ستة اقسام . وسيكون في حالة حدوث قلاقل ، من السهل حصر أي جزء من الاجزاء الاخرى . واخيرا لا بد من الاشارة الى انه تم تدمير العديد من المنازل ، وتأثر نتيجة لذلك ١٤ الف شخص منهم ٦٠٠ عائلة في معسكر الشاطىء فقط . ولقد صورت الصحف الاسرائيلية ابعاد المئات من العائلات